

رشا عمران

معطف أحمر فارغ

شعر

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠٠٩

كل الذين استسلموا لي

اغتنوا مني

وغادروني

(ريلكه)

من آخر البيت حتى أول قبرك

إلى محمد عمران

على الجدران الخضراء
حيث كل عشة تنتهي إلى غريزتها
حيث أول القلب
يتداعى طويلاً نحو جذر الماء
ألتفت إلى ما تبقى في من طفولة
كي أقول
أنك تراني .

لم يعد أول الصيف
يتدحرج كما النرد
فوق موائدنا
لم نعد نعرف أن نميز
صخب الدوري
كي نعرف أننا
في الصباح
ما من أحلام كي نللمها
كحبات البلوط
عن مصاطبنا
الذي تهدم
لم يكن جدار بيتنا
بقية دهشتنا
أيضاً !!

أسماء غيابك
أردها عاماً وراء عام
كي أصدق الفراغ

من آخر البيت
حتى أول قبرك !

الممشى في حديقة البيت الخلفية
الذي أردته طويلاً كأعمارنا
أقصر من ألم
دللتنا عليه
رعدة أصابعك
قبل وضح الموت
بلمسة واحدة !

مازلت الحياة
متوفرة بنا
بيد أن البرد يسيل فوق السقوف
المتشققة
ومواقدنا
منهكة !

كل ظل ألتجىء إليه
مغارة لأبحث عن دفئك
كل رجل أحبه
امتداد
لرائحتك !

ليس عبثاً
أنك أشرت للبيت
كي يستريح
تحت السنديان
كنت تعرف
أن أسلافك

منحلون في النسغ
الذي سيتسع لسالتك أيضاً
كان عليك أن تخبرنا
كي لا نبالغ
في تقليمه
أدركنا ولكن
متأخرين !

كأن الزمن
ليس غير غبش يتشبث
بالمرأة العتيقة
المرأة
التي تعكس وجهك
على الجدران
المتكررة .

الماء المنحدر
نحو الصخور القريبة
كلما هممت أن أشرب
أرجعتي يداك
نحو منابعه
في أعالي
الغياب !

كي نصدق
نضع زهرة كل سنة قريك
يوماً ما سيللمها أحد
ويضعها فوق ما تبقى منا
كي يصدق
مثلنا .

لا أشبهك أيتها الريح

بعد قليل
ستغامر الذاكرة في انحدار الحياة
الوجوه الفارغة
ستعرف أن تحتفظ بالملح المتكسر
والأيدي
سوف تغادر خفيةً
وحده ذلك البرد الجامد
سيقف
منتظراً !!

أهو الخوف
حارس هذه السنين الداكنة....!
أهو اليقين
هذا
الذي
لا يحرس شيئاً؟

أيتها المدينة
بعينين صامتتين
وقلب داكن
ثمة امرأة تراقب الطريق
وكمثل ليل ناسِ نجومه
ثمة رجل يتساقط
مودعاً حضوره
نحو البعيد
ثمة خطوات
تتساقط أيضاً .

أيها الطريق
ألا يكفي العابرون
كي يدلوا عليك
أيتها الأضواء
ألا يكفي صخبك
كي يدل على المدينة
أيتها الوحشة
ألا تكفي امرأة
كي تدل
على
سطوتك ؟

لا أشبهك أيتها الصحراء
هي الريح في قلبي
لا أشبهك أيها البحر
هو الرمل يشاطيء عيني .

هناك
في اللا مكان
حيث الريح تحالف الصمت
حيث العالم
يبحث عن ظله
هناك حيث
يرتعش
الزمن .

.....
أن نعبر الأسماء ،
أن نتبادل السنين
أن نستأنف
هذه الأحجية

ما من تنمة

ولا

تمهل

غريب أنت؟

.....

تعال نتشارك العزلة

والأرض الذابطة !!

الجدران المتكسرة

ظلالنا المتروكة على الجدران المتكسرة

ظلالنا

القائمة !!

أما من يد

تقلت سوى

هذه

الريح . . .

أما من في

يحضن هذا الصراخ

الناشز ! ؟

أيها الكلام

يا جداراً

أمام تدفق الوجوه

أيها

الكلام

المتهدم

المتهدم

المتهدم .

مفاتيح

قلت لك :

أعطتني الحياة

مفاتيحها

غير أنني لم أجد أبواباً لأفتحها

لم أر غير بهو واسع بجدران مكشوفة

ومن السقف تدلت

ملايين الأحلام المطفأة !!

قلت لك عن الصمت الذي علق بي

كان مرعباً آخر ذلك الليل

حين أغلقت وراءك الباب الذي لم يغلق سابقاً

فجأة لست هنا

ليس غير حياد بلبد

لنزوة عابرة !!

على ركبتي كنت أجلس مدناً لا أعرفها

سكان تلك المدن

لم ينتبهوا إلى غواياتي

وأنا أحدثهم عن ليال ملتبسة

ليال طويلة

خبأت فيها رأسي بين ركبتي

هل أخبرتك عن

سكان تلك المدن؟؟

لم يكن الحجر الذي سقط من الجدار

غير انحياز ناصع لفوضاي

وأنا أبحث بين الشقوق

عن تفاصيل لأخطاء

لم أرتكبها بعد .

في الحب أيضاً
أنحاز إلى رهانات خاسرة
الشالات الطويلة التي طالما اشتريتها
تصل بين رهاناتي وأوهام البداية
يحصل هذا دائماً
لأسباب لا أحاول
فهمها !

كيف لي أن ألمم وجوهاً
تحنطت على الجدران
قلت: ربما
أن الجدران التي تحنطت
وأن الوجوه
محض هلوسات
تنتهي آخر الليل!

أن أنتظر تحول الليل
من النافذة
انقلاباً آخر للرمل
أسفل الباب المغلق
ما يشبه انفصال الضوء
عن ضباب عميق
أن أنتظر ما يصعد مني نحو
نهار جديد
هذا ما أفعله في غيابك

.....

لنشرب

في صحة البدايات
إذاً .

أنا هكذا دائماً
أستخف بخطواتي المراوغة
كأن ما أعرفه عن الأرض
مجرد أسرار مع التراب
تلك التي أحاول التملص منها
بلا طائل!

ثمة ما يجعل الشوارع حولي
تسير باتجاه وحيد
ثمة ما يجعل ظلي
يتمدد نحو الجهات
كلها!

نحو دروب جديدة
هكذا دائماً
يتدحرج المطر النازل من أصابعي
نحو دروب جديدة
إلى جلدك .

هل تمطر عندك؟؟
سألتك
أشرت إليه في الشرفة
.....
صدقتك
قامتك على الشرفة !

شارع طويل

الأضواء في الشارع الطويل

الشارع المقابل لنافتي

تتطفئ

ضوءاً ضوءاً

ومن بعيد

يقترب نحيب البحر

كمن ينحني على وحشته

فقط .

أثر

أيها البحر
يا شبيهي
في هذا الليل الطويل
الشواطئ ملهية
في البحث عن خطوات جديدة
بينما جسمك يتمدد
مقتنياً أثرها
دونما جدوى !

رمال فقط

أيتها الشواطئ
لست سوى رمال لاهثة
بلا ذاكرة
كي تقودي أحداً
نحو أعماقك !

لا مبالاة

لا يعنك تساقط النجوم
أيها الليل الطويل
كهذا الشارع المقابل لنافتي
لا يعنك
أن ننتيه في زحمة الظلام !

عتبة

كلامنا عن الأسرار
قولنا الذي لا طائل منه
اضطرابنا
حين نغامر في هذا الدخول
حيث الحياة
مجرد زيد
مسروق من أمواج
الفناء .

نكران

كلما

عند حواجز الليل

سقط لي ظل

أنكرتني

فسحة الصباح

بكل فجاجة !

عبور

المسافة التي غادرها غيري

دونما اكتمال

أدخلها

بوصفها

مسافة إلي

أو إليك

باحتمالات

لا تنتهي .

وقت

الزمن
الذي نعبره معاً
بلا ندم
انعكاس معلق
بين
اللهيب
والغموض .

هدوء

على نافذتي
المقابلة للشارع الطويل
يمتد
ليل صامت
مصغياً
لذلك النبض
المتسرب
إلى أمكنة بعيدة
تاركاً لقلبي
أن يصرخ
ولكن
بلا ضجيج ! .

هذيان وأنهار زرق طليقة

ليس من اسم لهذا المكان
لا ملامح واضحة
ولا أثر للمس أو خطوات
الفراغ فقط بقبضته الماردة
يشدني إليه
ويجلسني في المنتصف تماماً
كما يجلس حجر واضح في الغبار !

هكذا كان
على كتفيه ظلمة برية
ومن صوته كانت تتدحرج مدن بلا ضجيج
بينما يتقاذف بين أصابعه ما يشبه العزلة
وبلا أي سبب
يحدق بي
كمن ينتظر إشارة غامضة
وحين أشرت
لملم تفاصيله وتكاثر في نفسه
وأحاطني .

لم أع ما حدث لي
جسدي امتد كصفير قطار عاجل
من رأسي خرجت غيوم تلمع مثل فقاعات الضوء
وعلى جلدي توالدت دوائر آلاف النساء
لم أع جيداً ما حدث لي
كنت أهذي بكلمات تستيقظ عاماً وراء عام
ثم أهجس بجداء ناي عتيق
وهو يحدق بي
تاركاً لأصابعه الكثيرة أن تقشر المدن المتدحرجة من صوته
وتضعها في فمي !!

ثمة ما أغراني بفقدان التوازن
آنذاك

حينما لامسني ارتعاشه
لم أكن غير ظل يفتح أغازه الزرقاء
ويبعثرها كأنهار طليقة . . .

ثمة على كتفيه ما أغواني
أدغال متروكة من ليل قديم

طيور ترتجل ندرتها

برار شاسعة ببقايا أصدااء هشة

ثمة غيم وبروق وأضاليل رياح زاحفة

كان على وعولي أن تقفز هناك

بعيون عاتمة أو بعيون تنزلق منها نهارات عتيقة
لا فرق أبداً

ثمة دعوة دائمة لاختبار تلك الغرابة

أو للتحالف مع الذهول وهو يورجح القلب كموسيقى راقصة !!!

غير أنني وأنا المنحازة إلى نفسي

أخفيت ملامحي وانحنيت لألتقط بقايا أصابعه عن جلدي

كان ظلام كحلي وكنت أدخل براهينه

وأخرج لأدخل ثانية

ثم أخرج ويدخلني

ثم يخرج وأدخله

ثم بلا أي مقاومة

تركت بقايا أصابعه على جلدي

مستسلمة لاحتمالات غبطة مؤجلة

بينما ملامحي بدأت تمتد

وتمتد

وتمتد

ثم ترتفع كأشجار مباغته .

مشاهد من ليل مدينة ما

في المشهد الأول :

في البار الشعبي

البار المجاور للبحر

كان رجال مسنونو بيعثرون ما تبقى من أسنانهم على طاولات الليل
بينما بعض الفتيات يهيئن كعوب أحذيتهن العالية لفتح آخر حبات الفستق
في الصحون شبه الفارغة ! !

الرجال المسنونو

الفتيات بفضيحة صباهن

كؤوس الشراب التي بقعتها الشهوات المراوغة

المطر الخفيف يحاول تهدئة رمال تصر على الضجيج

البحر فقط

بوحدته الأزلية

سيذكر ذات يوم

أن حياة ما عبرت هنا

وأن الزمن ليس غير ظل ساخر

لأغنية بلغات مضطربة

اختبأت في القشرة القاسية

لحبة فستق أخيرة .

في المشهد الثاني :

حيث المكان يحتشد بين جدران بنوافذ مفتوحة

رجال كثيرون

ونساء أكثر

رجال بيض وصفر وسود وبين بين

نساء بيض وصفر وشقر وسود وبين بين

بلا اكترات يخلع الرجال قمصان شهواتهم ثم يمددونها تحت عبور النساء

بدراية واضحة ترتدي النساء ما يشبه الرغبة

قبل عبورهن الصاخب نحو الدوران المضطرب حول حلبة الرقص

الرجال الكثر
النساء الأكثر
الأجساد المتمايلة، المتلاحمة، المتلاقية
أجساد متشابهة
أجساد مختلفة
الخمير الهاطل كمطر يحاول أن يهدئ رمالاً تصر على الضجيج
وحده القمر
يراقب المشهد من النوافذ المفتوحة
القمر من وحشة مكانه
سيذكر يوماً
أن حياة عبرت هنا
وأن الزمن ليس غير ظل ساخر
لقمصان تبعثرت
تحت العبور المحموم
للأجساد الذاهلة .

في المشهد الثالث :
شارع طويل وفارغ ومعتم
رمال يفرق تصادمها قوافل الصمت المنحنية كأقواس الحداد
رجل يهرب من عتمة الروح المألحة
امرأة تهرب من عباءة الكتف والنهار
رجل وحيد
امرأة وحيدة
سيارة تتخفى في سوادها
أعقاب سجاجير مطفأة على المقعد الأمامي
بقايا دموع كحلية على منديل أبيض
لهات كالمطر يصر أن يهدئ الرمال التي لا تهدأ
حجر وحيد
حجر لا يوحي بشيء
حجر فقط
سيذكر أن حياة عبرت هنا

وأن الزمن ليس غير ظل ساخر
لدمعة داكنة
بقيت فوق منديل أبيض
على المقعد الأمامي .

في المشهد الرابع :

شارع طويل

شارع

مزدحم، ضاح، مضاء

ضحيج كرياح تمعن في تأنيب الرمال المشاغبة

على الرصيف الضيق

كان شاب بلون اللوز

كانت فتاة بنكهة العنب

كانت يدان تقتربان

شهوة مراوغة

كانت تخترع بيتاً وسريراً وأطفالاً بطعم الحب

اليدان تقتربان أكثر

تشتبكان

على رصيف ضيق

رصيف عتيق

سيذكر يوماً

أن حياة عبرت هنا

وأن الزمن ليس غير ظل ساخر

لأصابع ملتبهة

اشتبكت في حلم مراوغ

عن البيت

والسرير

وعن أطفال

بلون الحب .

امراة

في الأربعين

تنفض المرأة الغبار العالق على أيامها

وتستدير نحو نفسها

مركونة إلى صيرورتها

كامراة في الأربعين .

في الأربعين

تستحم المرأة بماء ذاكرتها

وتتنشف ببقايا كلمات

تأفل في قنديل قلبها الواهن .

في الأربعين

تفصل المرأة جسدها عن غطائه

تتأمل الثقوب الباقية من جمر شهواتها

تبدأ بترتيقها

بلا طائل .

في الأربعين

تغسل المرأة أنيتها

مرات عديدة

محاولة إزالة الغبش

الذي بقع بلور روحها .

في الأربعين

تلملم المرأة أخطاءها

بيد أن الوقت أقل من خذلان أصابعها .

في الأربعين
تكحل المرأة عينيها بأفلام الخسارة
وترتدي أكثر أثوابها شبيهاً بالحنين .

في الأربعين
تقول المرأة عن أمكنة مفقودة
وعن أحلام مفقودة
وعن أسماء مفقودة
ثم
تركن إلى صيرورتها
فقط .

في الأربعين
تجهد المرأة في عد أعضائها
وتنتبه
إلى خطئها في الحساب مجدداً
رغم أنها

في الأربعين ! ! .

ضوء ضئيل في الرمل

إلى محمود

أليس ممكناً أنك كنت وحدك هناك
حيث الجبال تلتصق بسكونها
حيث الصخور تجرب احتمالاتها ولا تنتهي
حيث الحجارة الصغيرة في الممر الضيق
تصغي إلى وقع أقدامك
وأنت تنزل من تلك الغرفة العتيقة في سماء البتراء
أو تلمم ما تساقط من فضة شعرك على الماء القليل ؟ !
كان من الممكن أن تكون وحدك هناك
لولا أنها أصابعي الأرجوانية اختلقت أعداراً للغناء
حين اشتهدت أن تمشط لحيتك الطويلة .

ثمة ضوء ضئيل في الرمل
لكنه كان يكفي لأرى يديك
تفرشان ذلك الوادي فوق جسدي
أقصد وادي رم
أو وادي القمر ،
لا فرق
كأنني في ذلك النوم الخافت
كنت أمسك زمام قلقك
وأنت تسرق الضحكات وتضعها تحت وسادتي
أو تحاول أن تلون ذلك الليل الباسق بألوانك البرية
ثمة ضوء قليل في الرمل
لكنه كان يكفي لنصغي إلى ذلك الإيقاع في الوادي
حين أسلم بدوي غناؤه للصحراء
متماهياً مع ما تبقى من أزيز نعاسنا الهش

في مخادعنا البرتقالية .

هنا

ثمة ما يجعل الروح تصغي إلى تكاثرها
والجلد إلى صفيحه .

هنا

حيث الزوجان اللذيذ معصور من الرطوبة
ورمال الشاطئ تعبر كما الأرنب تحت أنفاس الرقص الفوضوي ،
كان لفراغ كرسيك أن يدل على وحشتي المفاجئة
حين توغلت عميقاً في المشهد المكتمل للبحر
لتبدأ في عد أعضائك الناقصة
دون أن تنتبه إلى ما يهبُّ علي من حكايا العاشقات
ولا إلى ما يجعلني أسهل انكساراً من الليل المتأخر
على سلالم العقبة ! !

هنا

ثمة ما تعنيه الزقزقة الخافتة للقبلة
أكثر مما يعنيه العواء الصاخب للجسد .

هنا

أقصد حيث الليل والنهار محاطان بالعبق البدائي للملح .
كان من الممكن أن ندفع بالحياة إلى الخلف قليلاً
دونما رهانات قادمة . . . !!

وإذا . . . ؟

لم يكن للوحة أن تكتمل بلا رمانه من غور ما... أو ثوب أخضر لم يكن على مقاسي... أو وجد يبدأ منذ أن
بدأت عمان ولا ينتهي . . .

إذا . . .

لماذا قمصان رائحتك وأسراب أسمائي وأسرار لهونا وفضائح غنائنا . . . ؟

وكتبت لي قصائدي ورسمت لك جدرانك... هل تذكر كيف تألفت مع بيتك الصغير وكيف تألفت مع بيتي الذي
لم تعرفه أبداً . . . ؟

دون أن تدري مررت على ما تبقى في من وجوه وعبرت وحدك... دون أن تدري حملت مدينتك في حقيبتني

وسكنت بها . . . !

وكان أن المركبة التي هبطت بنا ذات زمن بدأت دورانها اللاهث وتوقفت بعد ألفي عام... لكنني كنت وحدي بعد ألفي عام... تعرفني المركبة ويعرفني الزمن... وسألت أن أعود إلى الورااء ولو غفوة واحدة... لكنك وأنت لم تتبعد عن مدى حلمي ليلة واحدة، لم أرك... وكنت وحدي قبل ألفي عام... وكانت البتراء ووادي رم وجبل خزعلي ووادي القمر والعقبة والأغوار وعمان و... وحدي كنت أصغي إلى ارتجاف حقيبتني التي أسكنها حيث مدينتك... وحدي كنت أتفرس من بين شقوق الصمت كي أرى ما تبقى من تفاصيل حكايتنا... التفاصيل ضاعت... وضاعت الحكاية وضاع وجهي... وكان أن المركبة التي هبطت بنا بعد ألفي عام عادت... وكانت البتراء ووادي رم وجبل خزعلي ووادي القمر والعقبة والأغوار وعمان ومدينتك في حقيبتني... ووحدي هناك ألملم ما تناثر من فضة شعرك قبل ألفي عام وأتأمل بقايا لحيتك الطويلة على أصابعي الأرجوانية.

انتظار

حين أنتظرك
أعرف أن الزمن
أطول من حقيقته
وأن العالم مجرد نبض
يفصح عن ضجيجه
وأن الحياة ليست سوى غلاف
يريد أن يتمزق !

حين أنتظرك يتكور الكلام
ثم يدخل في ذاته
الكلام الذي لم نقله معاً
الكلام اللذيذ
الكلام الذي كمثل مطر
في اكتمال الصيف .

حين أنتظرك
أقول هذا الانتظار
هو
ما أحب من الحياة
ثم أسمى حضورك
مجرد يوم
يوم
أو هاتف
أو خطأ في الحساب !

حين أنتظرك
تدور أيامي حول معناها
بينما الليل الصديء

ينفتت مبتعداً
في الجهات كلها
تاركاً للنجوم
أن تسقط لا مبالية
كي تلهو
في غرفتي !

حين أنتظرك
أعرف أن الصمت
ينعكس على الجدران
ولكن
كمثل ظل قابل
أن يتهدم !

حين أنتظرك
أحتفي بغبطتي
حيث أقبل أنني أخاطر
في مركز الألم
المتشارك مع اللذة
المائدة نفسها !

حين أنتظرك
أفكر أن الخيال فاكهة
تسقط
من تينتك
على جسدي
ثم
بأصابع الخيال
أكتشف أنوثتي
بكل احتمالاتها !

حين أنتظرك
لا أجرؤ على الموت
حيث الثبات
ملجأ
للمطمئنين !!

حين أنتظرك
أدرك
أنني أمسك
بالخييط الخفي
الخييط
الذي يبدأ باسمك
ثم ينتهي
حيث
يجهل الآخرون !

حين أنتظرك
أرسل نومي
إلى أحلام لا تشبهك
وأخذ
إلى انتظارك
فقط .

ظلال

من بقعتم نوافذ روعي بالبكاء
القادمون إلي
رائحة
رائحة
كأنكم رهبان الكآبة
وكانني
كنيسة على مفارق
ما تخفونه من
شهوات !

لم أقل لكم بعد
عن صخبي
لم أحدثكم
عن الصرخة في جسدي الثابت
لم أفتح لكم أبواب نيراني
كي تدخلوها
.....

كل ما فعلته
أنني عبرت فوق انهداماتكم
بحزني الفاضح
وقلب يغالب النحيب .

الرياح التي تعاشرونها
كل ليلة
ليست سوى
احتمال آخر لارتطامكم
بالسراب
بينما الحقيقة

تصفر كما النشوة
في أغوار لم تخبروها كما ينبغي
مطمئنين إلى انتباهكم
المسمر نحو ما تشهقون به من المعنى ! .

تقيضون
لكن ماءكم
يسيل تحت العتبات
تتبعسون
لكن كظلال مائلة .
تصرخون
لكن بشفاه
متردة .

أعرف
أنكم في كل مكان
مني
كألم قديم
غير أنني
حين تحاول أيديكم
أن تمسك مائي
أقدر أن أتشكل غيمة عذوبة
وأهطل على تراب
لا يشبه أحداً منكم .

غامق، متألم، حزين

كان في الغرفة سريران لأجله
وكنت أعرف أن قامته تفيض عن الغرفة
قامته بمائها الفارع
بنجومها المتناثرة كمثل حصى كحلية
قامته على السريرين في الغرفة الصغيرة
بينما أصابعي تفتح له النافذة
المطلّة على الغمام !!

ملقياً ثماره السوداء
أمامي
يفرد البحر الغامق جسده
متمدداً كالكلام المكتهل
حيث المكان دائماً
له
حيث يدوم صوتي
كشاطئ
بلا نهاية .

أعرف
أن الزوارق تتهدم
كما الذاكرة
وأن المرافئ مهجورة
كالحب القديم
وأن الرمل يتبدد كما الأسئلة
وأن الزرقة تموج
كضباب منسحب من جهة غريبة
متألم

غامق

حزين !

بأبعاد واضحة

يعلن ثبات حضوره

غير منتبه إلى يديّ

حين بطفولتهما

مزقتا قاعه الورقي !

كما الأبانوس أول الصباح

يتدفق موجه كرجبة أرقّة

إلى شرفتي

يأتيني باللاكيء السوداء إلى جسدي

ولكن إلى فمي

بملح

من زبد !!

إله الأسرار العاتمة

أمير المرجان القائم

سيد الأعماق الكامدة

نبيذه الغامق من المحار الصعب

كلما ضاق عن ألغازه

فصل جسده عن نفسه

واقترب بروحه

إلى جواربي .

النوارس المحلقة

تجهل الموت المختبيّ

في غضبه المعتم !!

قامته في اتساعها

الجسد الأسمر في ماضيه الخفي

الجنون الكامن في أعضائه

الأزرق الأبانوسي

يتقدم إلي من الشرفة

الغامق

المتألم

الحزين

يأتي برحيقه الأسود إلى جسدي الفسيح

حيث المطر والصحراء

يشاركانه

نفس الوسادة .

كأنني شجرة في الخريف

لو أنك مت ذلك اليوم
كنت سأزين ثوبي بزهرة سوداء
وأتبع دربك الطويل
من سرير زوجتك حتى ليلىك الأول
كأنني سرب أشجار حزينة
أو ظل لا يتبع غير نفسه.

لو مت ذلك اليوم
سأستعير حناجر النائحات
وألملم دمع الأرامل عن عتبات البيوت
وسأجرح رخام الوجوه الباردة
كأنني سكين لن يوقف نصلها غير التراب
أو خنجر لا يعرف أن يهدأ بغير غمده .

لو مت ذلك اليوم
سأستجد باللمس الأخير
حين من جلدي امتد النهار
واستفاقت تواريخ حملناها كأصواتنا
هل ستسعفني أصابعك ؟
لهيب ذاكرتك على كتفي ؟
هل سيسعفني حمام أنينك
حين لفظت ذلك الصدا العتيق ؟
كأنك الضوء يجدد أنفاسه
كأنني الأرض تسترجع ضوءها .

لو مت ذلك اليوم
كنت سأحمل قلبي كل يوم في طريقي إليك

وأكلمك كما لو أنك في سريري
سنختلف حتما كعادتنا في الكلام
أنت تؤكد طراوة يقينك
وأنا كما الصبار أخز الله بين يديك
لكننا على السرير ذاته
سنتبادل الأدوار
كل نصف ساعة
نتبادل الأدوار
ستكون الريح وأنا خزائنك الشاهقة
سأكون البحر
وأنت غيمتي العاتمة !

لو أنك مت ذلك اليوم
سأعرف أن لا شيء يعيدك إلي
وأن ما أحاول استرجاعه
مجرد هباء
لا معنى له
سأسمي الزمن الخائن الوحيد
وأدخل في موتك كل يوم
كي أختبر أشكالا جديدة لبقائي .

لكنك ذلك اليوم
لم تمت
ولم أنتظر ذهاب المعزين كي أودعك
على طريقي
ما حدث
أنك واصلت حياتك
وتركتني

كأنني شجرة خريف يتقشر جذعها
مكشوفة هكذا
وعارية
وترتجف من المرارة ! .

ما يلزم غيابك

قلت لك:

علي أن أهيب البيت
سأضع فيه كل ما يلزم غيابك
سجائر
زجاجة فودكا
بعض الموسيقى
ما تبقى من وجوه عبرتني وغابت .

سأضع في البيت نهراً كاملاً
قهوة منكهة بقلنا الصباحية
خبزاً وملحاً وزيتاً
ورد الظهيرة الشهية
شغبنا قبل الغروب
خلافنا حول سهرة اليوم
ثم انحيازنا المشترك
لسرير شغفنا .

سأضع في البيت ليلاً كاملاً
غناءنا
عشاء ألغازنا
تانغو هادئاً كي تلتصق أجسادنا
رعشات مسروقة من الشباك العاري
رعشات مرمية باتجاه السماء
تواطؤنا مع اغفاه الفجر
وبعض حبات من الزيتون الداكن
هي كل ما تركناه
من أسرارنا .

سأضع في البيت ما يلزم غيابك
بيجامة سأشترىها على مقاسك
حذاء خفيفاً تحت السرير
أسئلة كثيرة سأوزعها على مخدمتك المفترضة
بضعة أحرف مشددة كي تطمئن
ستائر كي أغلقها أول يديك .

حواراتنا سأوزعها على الجدران
وعلى الجدران أيضاً سأعلق نشيجنا
قلت لك :
لا أحب الجدران الفارغة
أعرفك
لا تحب الجدران الصامتة .

سأشترى حتماً ساعة تتبني عن فارق الوقت
بين دقائق حريتك
وساعات انتظاري
وسأشترى أرجوحة
لحزني اليومي
حين كل لحظة أدرك أنك
لن تأتي مطلقاً
وأن ما أحاول تأثيثه
هو مجرد ورق اعتدت كل رجل عليه
وأن بيتي
ليس غير حقيبة صغيرة
تتسع لسجائري
للفودكا التي أحب
للموسيقا الهادئة
لفوضى الوجوه التي غادرتني
لانتظاراتي التي لن تنتهي ! ! ..

كم طرية أنا بك

الوحشة تعوي كما الذئب في أحشائي، الوحدة أيضاً والحنين، احتجت أن أسمع صوتك لأشعر بالأمان، لكنك كعادتك لم أجدك، وكعادتي كنت أحبك وأنا أوقن أنك نشيجي المتواصل فلا أجرؤ على نسيانك، وكعادتي أيضاً كنت أعرف أنك وأنت مركون إلى ذاكرتك، هادئ إلى تراخيك، عاصف إلى تفاصيلك، أحبك، كمن لا تعرف سوى ذلك، وصرت من فرط ما أنت قريب أسترجع ملامحك فلا أراك إلا كاملاً، كأنك دنوت إلى حد أنك مشهد كل لحظة فأحفظك دون جهد استحضارك، وأقول كم أنت حاضر لأرتجف من غفلة المعنى، وأقول ما أشد هذا الغياب فأرتعش من فتنة الحضور، هل كل هذا المعنى أنت وكل هذا النقيض؟! ثم أقرر أنني سأنسى عادة الشغف بك، فلا أستعيدك إلا بياضاً ولا أراني إلا شغوفة بحبر احتمالاتك، فأراك بحراً يشاطيء قلقي أو غابة تغويني ظلالها أو مدينة تتسع لغررتي أو ملحاً فأجهش من هذا الغموض، هل بعد أيضاً؟ بي اكتظاظ ما لا أذكر من سنوات الهاجس التميمة، بي التوجس المجبول بكوابيس التجربة، بي مباحاة الأوثة بضعفها الجميل، وبي السؤال عن مساءات تخلو منك وعن صباحات فقدانك، عن أصابع لا ترتعش بي، عن جسد يبتعد بذاكرته عني، عن عينين تبحثان عن نوم آخر، بي كل هذه الهاوية ولا أجرؤ على نسيانك، كأنك شاسع فأمتلى بك ثم تفيض عني، أو كأنك الفراغ فلا أخرج من وهم جاذبيتك، ثم أطلبك من جديد، فأخشى أن أكون جديدة على الندم، وأخشى أن لا تطل على نومي فلا أشفى ولا أجرؤ على نسيانك، ولا أستطيع تذكر الأشياء بمعزل عنك، كأنك امتزجت بكل ما عرفته معك وبعده، فلم أعد أقدر أن أكون حيادية، ولم أعد إلا منحازة لكل ما اختبرته بك، ومن فرط قربك كلما قررت الهروب فاجأتني بكل اضطرابي، فأرتعش وأتوجل وأرتبك وأنتبه وأكتشف كم أنت غائب وأكتشف كم أنا عاشقة وكم أنا ضعيفة وكم أنا طفلة، حتى إذا انتبهت اخترقني كل هذا الحزن الذي يراودني طويلاً، فألوذ بعطره كي أشمك، وبصدره كي أسمع نبضك، وألتجئ إلى شمسك كي أهرب من صقيع عنادك، ثم لا أقوى على حضوره الناصع هكذا فأعود إليك وأطلبك من جديد، وإذ بك بعيد وصامت ومضطرب كما لو كنت زمناً يبادل حزني بعقمه، فأنتبه وأبكي هذا الغياب طويلاً كشجرة مستوحشة، ثم أبكي هذا الغياب طويلاً كشتاء لا ينتهي، هل عرفتك يوماً دون أن تكون شكاً والتباساً وغموضاً؟ هل سأدهش لو أنني عرفتك أكثر؟ أقصد لو عرفتك كمثل وجع لم أخاصمه يوماً أو كممثل وجد يرافقني كل لحظة كما لو أنه قريني؟ وكلما أمعنت في أسئلتني زاد غيابك في تعنته، فأنتبه وأدرك ثانية أنني لا أجرؤ على نسيانك كما لو أنك اختبار يومي لحياتي، ثم أنتبه فأراك فعلاً هاجسي اليومي، فإن حضرت قليلاً أدركت كم أن الألم حصة أبدية، وأدركت أن الغبطة مجرد افتراض، ثم أعرف كم أنا منقلة بماء تجربتي معك، كأنني لم أكن قبل أن أختبرك في جلدي، أو ربما كأنني أكتشف الدهشة للتو، فأنحاز إلى بياضي، فتدهشني إشاراتك، ويدهشني برقك، وأمتلى بلغتي معك، وأعلن كم طرية أنا بك وكم ندية! ثم أعرف كيف تطوقني رائحة التفاصيل معك، فألتفت إلى الوسادة والسرير والغرفة والبيت والسلم والشارع والمقهى والمدينة فلا أرى غير غيابك، ثم ألتفت إلى غيابك فإذا أنت رائحة أسترجعها من

الوسادة والسرير والغرفة والبيت والسلم والشارع والمقهى والمدينة، فأفلق من تفردك، وأفلق من أن تكون الاحتمال الأخير لاختباراتي، فأرتجف من القلق وأرتجف من لذة الألم، ثم أنتبه إلي، فلم أعد أراني إلا بما هو غيابك، حتى إذا حضرت كلك ذات يوم رأيت كم أنك الرائحة الأخرى لموتي.

أصدقاء

الأصدقاء الممهرون بالوحشة

الأصدقاء المعلقون بين خيوط عنكبوت الذاكرة

الأصدقاء الطيبون

الآليفون

العاشقون

الأصدقاء المرميون على قارعة الروح

الأصدقاء الموشومون بغيابهم الأبدي

الأصدقاء

فقط .

انعكاس

تلك الموجة العالية

تلك الموجة المتكسرة

باندفاعها الحائر نحو جهة مضطربة

خيل إلي أنها روح مشتتة

تقاوم الاطمئنان الأخير

تلك الموجة

المستوحشة !

منارة

الصامته جداً

كمثل كرسي في مقهى مهجور

كنت أقف قبالتها

نتشارك الصمت نفسه

أنا بمعطفي الأسود الهالك

وهي بردائها الأصفر الأزلي .

كنت أقف قبالتها

ظهري للمدينة ووجهي للبحر

ظهرها للبحر ووجهها للمدينة .

كنت أقف قبالتها

لا شيء مما يحدث خلفي يعنيني

لا شيء مما يحدث خلفها يشغلها .

كنت أقف قبالتها

أغبط ثباتها الدائم

تحسد حركتي الممكنة .

كنت أقف قبالتها

أفكر بالرجل الوحيد الذي يرافقني

الرجل الذي تعرفت إليه للتو

تفكر بالملايين الذين عرفتهم طويلاً

ولم يرافقها أحد .

كنت أقف قبالتها

قدماي لا تكادان تلامسان الرصيف

ورأسي أخفض من شجرة تتهاوى

قدماها مغروزان في رمل سحيق
ورأسها أعلى من إله متكبر .

كنت أفق قبالتها
أشفق على وحدتها الناصعة
تشفق على وحشتي الملتبسة

كنت أفق قبالتها تماماً
قبل أن أصبح رقماً عابراً
في لوح حسابها العتيق
تلك المفردة العتيقة
الشاهقة .

رجل

المدينة التي أعرفها جيداً
الشاطئ الذي طالما توه خطواتي
المقهى
حيث أستطيع أن أحصي الطاولات والفناجين والمنافض
الأرصفة الشاهدة على لحظات غبطني
غرف الفندق
وحشتي الطويلة
تلك التي تعرفها جدران الغرف جيداً
أرقام الهواتف التي أحفظها غيباً
أصحابها
خبيتي الدائمة
الأصدقاء
النميمة
الحنين
الموت الذي يتسلق عظامي بعد كل رغبة
التفاصيل
.....
.....
الذي بأشروني صوته فجأة
كمثل مطر مستل من الصحراء !
الرجل الذي عرفته بالأمس فقط
الذي...
وزع الدهشة
عاصفة
حول يقيني ! ! .

صوت

لم يقل شيئاً

.....

.....

أنا اخترت

أن

أسمعه .

ربما مكان لي

في العالم ثمة مكان لمتردة مثلي ،
شقة مستأجرة في بلاد ما
قبو ضيق يتسع لحقيبتني
فندق منسي لا يرتاده من ليس مثلي .

في العالم ثمة مكان لعاصية تشبهني ،
شارع تذرعه رائحة الياسمين
رصيف مختلف الخطوات
أو باب مهجور لا يفتح لمن ليس مثلي .

في العالم ثمة مكان لحالمة تقريني
مدينة تعاشر البحر كل ليلة
وتتجب كل صباح نوارس ملونة
وعند الظهيرة تفتح ساقياها كي تحبل بالشمس
مدينة يسكنها الحالمون مثلي .

في العالم ثمة مكان لمنبوذة أعرها
أصدقاء يلونون الدقائق بترحابهم
أصدقاء تتسع أرواحهم للاختلاف
أصدقاء لا يزعجهم طين الأحذية القديمة على سجاد محبتهم
أصدقاء طبيون واضحون منبوزون مثلي .

.....

ثمة في العالم مكان لملحدة تسكن قربي ،
وجه سمح لسماء قريبة

ملائكة يعيرون البشر سلامهم ويستعيرون الفلق

إله وحيد أرق يزور الأرض كي يبحث عن أنثاه وحين يجدها يلونها بالأزرق ثم يعانقها ويغفيان باطمئنان

إله لا يغضبه عبث الملحدین مثلي

ثمة في العالم مكان لعاشقة مثلي

رجل يفتق من ركونه ويخرج عارياً كالريح ليقابلني

رجل مجنون يوافقني دائماً حين أقول إن في العالم مكاناً لنا معاً

أقصد زوجته أو أي امرأة تعرف أن تتسى أصابعها على مائدته

تماماً كما أفعل أنا

رجل منشق عن سواده يلفته اللون الزهري في حذاء يشتره لي

رجل تجريدي يعرف أن الحب خارج الزمن وأعلى من المكان

رجل يستأنف قصيدته في جسدي وحين يغادرني يأخذ من جلدي بعض الملح

كي لا أنساه

رجل واحد عاشق مجنون مثلي .

في العالم ثمة مكان لخالدة مثلي

سنديانة عتيقة تظلل غرفة مغلقة بإحكام

غرفة تتسع لجسدي فقط حين تجف مياهه

وفراغ هائل ربما اتسع لطوفان روحي .

في صحتك

ثمة هاوية تسقط كل ليل
قربي
ارتطامها ينذر بسكوت كثير
ثمة هاوية أكبر
تندرنى
بك !

مجرد الطلب
لا يكفي لطرده عمتك
سأعريك
يوماً
يوماً
بضوء حقيقتي .

مخالبة اشتياقي
تخدش ليالك
لا تخف من الدم الأسود
سأشربه
في صحتك .

ما من وقت لك
كي يتنفسني جلدك
ما من وقت أبداً
غير هذه النافذة
المراوغة .

ثمة في الحب
من يفترض الماء
خشية ضبابه الأبدي

....

أعنيك أنت

ثمة

من يفترض التراب
حيث تحدث البدايات
دائماً

.....

أعيني .

كلما ضقتَ عن جسدي
انفصلتُ إلى روعي
تماماً مثل متاهة
شرنقة .

في السابق

لا شيء كان ينوي الحدوث :
على مهله كان جلدي يئن
على مهلها أصابعي تتكور
على مهلها خطواتي تتبدل

في السابق

كانت الفكرة أصابعي

وجلدي الظل

والمعنى خطوتي

جسدي كان الحدوث

على مهله

جسدي

يستجيب

على مهلي

سأعود .

نستيقظ

عند ضوء الأستلة
وندور طويلاً
قبل أن يدخلنا الجدل
في مناهاته
الحالكة .

جسدي مكتمل بسكون السرير
السرير مكتمل بسكون المنزل
المنزل مكتمل بسكون العالم
العالم مكتمل بسكون الحياة
الحياة مكتملة بي
لا تتأخر
علي أن أعيد الأشياء إلى
نظامها .

تعال
كي نرفع الليل عن مائدة العالم
ونهبه
للسائلين .

أيها القادم الجميل
يا رغبتني المؤجلة
انتظرنني قليلاً
مازلت أحاول هذا العالم
كي أبشر بالفراغ
انتظرنني
ثمة وقت لك .

لا بيت لي
أين سأستقبلك
أيها الكلام ؟ !

كأنني تميمة

كئيب هذا الليل، كئيب وقاتل ، لا شيء حولي سوى الحنين وسوى هذا الانتظار الذي كالخلد يقضم ما تبقى مني، وأقول ها هو الحزن يعيد انعطافه ، وأقول ليس ثمة من ضوء كيما يومئ إلى النسيان، موحش هذا الليل وقاتم، ثمة غراب كخرافة أبدية ينبع في عتمة الروح وعلي أن أسمى الهاوية قبل أن تعكس نهايتها فأكتمل والذاكرة قبل صعود اليقظة فلا أهدأ.

وكمثل ظل منفصل عن ذاته أتبع القلق كي أنتقيه والألم كي أنزع قشوره كما لو أنني أستبقي الوهم كي أباشر ما تبقى من طرق.

وأقول كم تتلأل المسافة حين يبديها فقط ترسم أشكال الغياب، كأنها انعكاس متواطئ مع الصمت حيث لا شيء سوى البرد والأزهار الذابلة.

بارد هذا الليل، بارد ومنخفض كأصابع تفصح عن غربتها ثم تنظر إلى دهشة خامدة، وأعرف كيف يتأسس الحصار كي يستمر كل ما هو خديعة، وكيف تتدحرج الحواس كي تدفع اليقين والإشارات، وكيف يذبل الصدى في عبور الصرخة المطلقة.

ثمة مكان في هذه الوحشة كيما ألتفت إلى الحطام المتراكم من السنين المسرعة، كأنني لم أكن غير حكاية والخطأ ذروة علي أن أباهي بها كي لا أخلد إلى طمأنينة النهاية.

ثمة مكان أيضاً كي أجادل الأيام، كأن الأسماء التي عبرتني بالغت في استعجالها، أو كأن ما اعتقدته من كتف لم يكن غير شرك يغافل تساقط النحيب.

وأنتبه إلى الشك، عالياً كمثل جبل شاهد على مآتم الزرقة، شاسعاً كأرض مرجومة بالسواد، ناصعاً كمقابر تستقبل النهار.

أقف في وحشة هذا الليل، كأنني نافذة أطل على ما يمر من أسماء ومن وجوه ومن أمكنة ومن سنين.

كأنني تميمة استيقظت في وحشة هذا الليل.

كما الهواء في غيبوبتك

حين
بأسئلتك المتلاحقة
تخضبين هذا الظلام
تكورين قلبك
كي ترميه في الأودية الشاهقة
حيث الزمن القاني
ينحل في مائه
مفسحاً لكل طياته
أن تحاول دروبها الغامضة .

في عريها الكامل
تلتف على قلقها
الروح لا تعرف من الليل
غير هذا الاضطراب
المتمكن كجدار بلا نوافذ .

الخوف الذي يستبد بك
الخوف الثقيل
لا تنزعه أحلام
بهذه القتامة .

تجلسين أمام نافذتك
تجلسين باهتة الملامح
باهتة ثياب نومك
باهت شعرك المشعث
باهتة جمرة جلدك
وأنت تنتظرين ما لا تدركين .

ليس لأيامك أن تتقوس

لولا

تحالفك

مع تلك الظلال المجهولة

تلك الوجوه العابرة أمامك

كقطار في صحراء

لا يكثرث لجمود الفراغ .

تفكرين أحياناً

بالجسد

ككفاية تزيح حجاب الزمن

لكنك كلما قلت عن أصابعك تحاولين الفكرة من جديد

دون أن تعنيك النتائج

تفكرين فقط بالملح

الذي تخلفه بصماتك

على جروح أخطائك الدائمة .

المعنى في بالك

المعنى العتيق

حيث هم الفكرة

أن تعكس للموت برقه على الورق .

لا تطلبي من الخوف

أن يفسر الفتوق في نومك

لا تطلبي من النوم

أن يسعف سريرك

من الموت !

لست غير قناع لنفسك

كلما تمررت
ارتجت على هواجسك
المرأة .

سلالتك من أرامل الغبطة
ترجعك دائماً إلى الجدران
حيث البياض طريق آخر
لتأمل عتمة الظلال .

الماء المنساب من ذاكرتك
يوقظ ارتجاف أصابعك
كلما باشرت طرقاتاً
نحو هاوية فارغة .

بينك والموت
مجرد نظرة تريدين رميها
غير أنك كلما هممت
رجمت
بشهوة الألم .

لا تنظري إلى البحر
زرقتة عاتمة
لا تنظري إلى السماء
تقشرت حتى السواد
انظري إلى الأرض
حيث الذاكرة مجرد صلصال
لخطواتك التائهة .

عبثاً تحاولين البحث عن حجارة الضوء
في البحار القاتمة

لم تكن غير هذه الرمال الممتدة أمامك
لم تكن غير أطياف زئبقية
لألوان شاحبة .

تألفين العالم الذي يمر كما الهواء
في غيبوبتك
الحقيقة مجرد غيبوبة أخرى
ستشيخ في انتظارك الصامت
للرياح
الجارفة .

تحاولين مسافة جديدة للبداية
ثمة مسافة مشابهة
تمددين عليها ارتعاشك
نحو تلك الخديعة .

الموسيقا التي تسمعين
الموسيقا التي تفتتلك
الموسيقا التي تحاولين إنكارها
الموسيقا التي تؤثث فراغ ثباتك
التي تستأنف انخفاضك
الموسيقا الغريبة

ال

مو

سي

قا

قا

قا

ا

ا

ا

الصدى في خرائب حواسك .

أنتك الآن في اللاشيء

كل الترقب

أنتك في دروبك

بلا ضجيج

أنتك لا تحضنين غير رغباتك

أنتك في مادتك نفسها تشكلين كثافتك

لا احتمالات لم تختبريها

أنتك تصوغين من هيولى الوقت

موتاً جديداً لك

أنتك والكون في دورانه

لست غير بهوت شعرك الأشعث

بهوت ثياب نومك

بهوت الفوضى في أوراقك

بهوت انتظارك اليومي

ما لا تدركين .

كلما انمحي يوم

أدركت

أن الكون تفاحة حزينة

تحتفظين بها

تحت نديك الأيسر .

كمن يطلب كفايته من الظلام

كمثل بلور بلون الأرواح الباردة
تمضين في أيامك
غير عابئة بما يتساقط من ظلك العتيق
حيث يتلعثم كل صراخ أردت اكتشافه .

تقترحين لمكانك حجارة مكتملة
بيد أن ما يلزمك كي تمدّي خطاك
مجرد مسافة نحو أمكنة أقل من هذا الاضطراب
الذي يعبر بك في رمال تحاولين إنكارها
بلا طائل .

تصغين طويلاً إلى هذا الصوت
تصغين
دون أدنى محاولة للانتباه إلى الرياح
وهي تهتف في فراغك الطليق
كموت يصلح لرسم ما يمكن أن تسميه
مجرد الرغبة .

مراراً
ظننت أن الحب أشد كثافة من الخوف
لكنك وأنت تخاطرين بالظن
انحدرت إلى هذا المساء
الذي يهبط بك نحو المعنى المرير
للمذاق الداكن
كمن يطلب كفايته من الظلام
الذي يحمل الظل بيده
والهدوء باليد الأخرى
المبتورة !

انظري
إلى هذه الرمال
التي تتجمع بك
كلما حاولت البحث عن جزر غامقة
لم تحقق بها زرقة الموت
بنظرة واثقة .

كان يطرق بابك
بأصابعه الثابتة
وكنت تقولين عن يقظة النار
التي تفصل عتبك عن الموت
غير أن الأصابع التي سقطت باكراً
لم تترك على الباب
غير انعكاس للهب
يعبر في كهولته الداكنة .

فجأة
وجهك الذي كالماء المالح !
فجأة
جسدك كغبار منسي !

فجأة
تتشكلين في فراغك الضاغط
كي تحايدي قلبك في تهوره !
فجأة

تنسين تفاصيلك في المرأة البعيدة
ثم تهبطين في الأبهة الفاضحة للرمال !
فجأة

تلحين في الألغاز العاتمة
ولا تدركين من تنفسك غير هذا الشهيق
الذي يتكسر دون أن يتفتت !

فجأة

تعبئين بالثبات وأنت في الرغبة القصوى للتردد !

أية إشارات تنتظرينها

من النار التي تتأجج بسوادها المكتمل

وعن أي نهار تسألين

حيث العتمة لا تفعل

غير أن تسترجع ذاكرتها ؟

فجأة

تتحين بنفسك نحو العبور الصاخب للحياة

حين لا تقوى يداك على التمسك

بالفراغ !

فجأة

تخترعين حجارة لأمكنك

بينما الرياح

تتقاذفك

كالرمال الجافة

التي يراوغك اتساعها

حين عبثاً

تبتكرين

رعدة

للماء .

إلى سرير آخر الليل

في وحشتها الفاعرة

تتفقد المرأة جسدها

لا شيء فيه تبدل

فقط

حدائق الشفتين

شحبت قليلاً

النهدان تبعها بالحنين

الخصر خف انحناءه على الشهوات العتيقة

الفخذان اقتربا كثيراً

من سؤال

الأنوثة

بينما

العينان تمدان ضياعهما

نحو اتجاه

لا تعرفان شكله .

ما من شيء يوقف تدفق وحدتها

الآن

حين يصمت الهاتف

أو يهيم الأصدقاء

في دفء أسرّتهم

أو يستأنف الليل سقوطه

نحو أشجار صامتة

أو ينحسر الوهم

عن آخر حلم

لم تقابله بعد .

في هذه الوحشة الباردة
تسطع الموسيقى كضوء قليل
تخلع المرأة ثيابها المجددة
كي تباشر جلسة غرائبها
ثم
تبدأ استحضار العالم .

في الجلسة الأولى :
يحضر أول برق للأنوثة
حين (السأم) خطوة أولى نحو دهشة الغريزة
مشهد المكان المراوغ
وجوه مشوشة
يد من وخز شوك مفاجئ
شفاه كلدغة مجهولة
ارتجاج الجلد في اللذة الحائرة
اضطراب في الجسد حين يراقب احتمالاته المتأرجحة
في خيالات ثملة .

في الجلسة الثانية :
تحضر أنثى في ورد تفتحها
مشهد للزمن العاصف
حيث الوجوه
مشوشة تماماً
والألسنة تتحرك
بكلام كثير
أحاديث حمراء
أوهام حمراء
شبق أشد احمراراً .
في المشهد نفسه
سيرتعث الجلد في اللذة المتمردة

بينما الروح تضطرب
تحت ضغط الانتماء إلى الرغبة
فقط .

في الجلسة الثالثة :
أنثى في بلور بهائها
مشهد الاختيار المترنح
حين تفترض الأنثى
شكلاً كاملاً
للرجل
ولكن

في احتماله النمطي
حين يخفت ارتعاش الجسد عند كل حقيقة
حين يبدأ الجلد سهيله
مبتعداً بملحه عن الرائحة الباهتة
يحضر غبش الوقت
غبش الوجوه التي تلعق بهاء الأنثى
حين تسقط في خديعة الاختلاف الشائك .

في الجلسة الرابعة :
تستحضر الأنثى غريزتها
حين الجسد
يقطر الماء والنار
وحيداً مع أوراق تستعيد تكوين الأنثى .
تحضر وجوه عالقة في الروح رغم تتابع الأيام
عالقة في الأوراق ربما .
لا فرق هنا بين الشهوة في ارتعاشها الكامل
وبين ارتعاش الأصابع الأولى .
يحضر الموت ساطعاً
حين لا مبالياً يفرش فراغه على مساحة بيضاء

أو حين يمد الجسد توتره
في العدم .

في الجلسة الخامسة :
يأتي الوجه الذي لم تقابله بعد
في (كامل تفاحها) الأنثى
والجسد نابض من مجرد الصوت
يأتي الرجل من ألوانه كلها
من حنينه الكحلي
من شغفه الأخضر
من البياض في كينونته
من اختبارات زرقة غرائبه
والجسد يخلق بنبضه الشاهق
إلى ما بعد السماء
الجسد في احتمالاته كلها
في تفكك عناصره
في تلملمها
في صرخته النادرة
حين بهدوء
سيعود العالم
إلى مكانه الوحيد
في جسدها
ثم بنفس الهدوء
ترتدي الأنثى ثيابها المجددة
تطفئ ضوء الموسيقى القليل
ثم ترافق وحشتها الفاغرة
إلى سرير آخر الليل .

رسائل قصيرة

الليل عميق الآن
ثمة وجع خريفي يدبر الحوار بيننا
وجع مراوغ قليلاً
لكنه يكفي كي يبعد عن أسمائنا الحارة
معارك واهية
يسببها ما يلمع أحياناً
في هذا الليل العميق .

الليل أول بياضي
كتب لي ...
ثم هطل الأزرق علي
ثم لا أعرف كيف راح الأحمر يشفني
والأصفر
والبنفسجي
انتظرته أن ينام
لكنه وهو الطفل العابث
ألقى برتقالته على نصف إغفائي
وأسلمني للصباح .

لتعرفني
عليك أن تلمس البحر أولاً
كتبت له :
ولا تسمني الموجة
أو برق الموجة
لا تسمني شيئاً
عليك أن تعرف مذاق ذلك الملح
حين ينفصل الزيد عن فجره

بينما ظلي يحاول أشكالاً عديدة
كطريقة في إغوائه للرمل .

الكأس الذي يرافق توهجي
مجرد التماس للفكرة
الرسائل المخبأة في أدراجي أيضاً
الموسيقا التي لا أنتبه لها
منفضة السجائر الممثلة
كأنني أجلس على حيز الموت
وكان الحياة حبة صغيرة وردية
أتناولها كي لا أفقد حيز الفكرة
.....

هكذا كتب لي
هكذا كتب لي .

لن تعرف امرأة مثلي :
أكثر هشاشة أنا من ورقة خريف
أسهل دمعاً من غيمة عاتمة
لكنني وأنا يجرفني الكلام
لن ترى غير بروق في جلدك
وعلى أصابعك
حكايات قديمة
تدل عليها ألوان لم تزل منذ ذلك الوقت
تخفق بالطراوة .

كيف أن الحياة حفيف باهت لأفكار
مطفأة

كيف أن الأفكار قليل من جلد ينسلخ عن الكلام
كيف أن الكلام بعض هالات حول الذاكرة
كيف أن الذاكرة مجرد لغز يتنفس الموت

كيف أن الموت

هنا غمست ريشتي بالأصفر

ودغدغت سواد اللوحة !!

.....

فكرت وأنا أكتب لك .

ما الذي تعرفه عن الصمت؟

- رجل وحيد توارقه نقطة ماء وحيدة أكثر وقعاً من نهر يدخل جسداً مليئاً بالحجارة .

ما الذي تعرفينه عن الوحشة ؟

- سرير مؤجل منذ أن استدل البرق على نافذتي وانزلق تحت قميص نومي .

ما الذي تعرفه عن الحزن ؟

- ما تبقى من الكأس أسكبه على جسدي وأتمم تعاويذ قديمة أحفظها فينضح جلدي بالنحيب .

ما الذي تعرفينه عن الكآبة ؟

- سيجارة وحيدة في علبة فرغت للتو، صمت حيادي، حزن حيادي، انتظار حيادي، جدران حيادية، وراء الباب

المغلق ثمة جسد يستدعي ظلالاً باهتة فيسقط في الخواء .

ما الذي تعرفه عن ؟ - ما الذي تعرفينه عن ؟

ساد الفراغ فجأة

حين انسابت كلمات واهنة باتجاه الهواء

وسقط ظلان عن الخط المستقيم

بينما بالكاد

كان للكلام الجديد أن يفتح عينيه .

سكون

هذا الليل الهادئ
كمثل مقبرة تنتظر
لا بقايا ربح كي تعيد بعض الرغبات
وما من أصدقاء
كي نوثت هذا الخلاء
لا شيء يقال الآن
السكون يستعيد ذاته بهدوء
والوحشة تتألق كمدينة صاخبة
السكون والوحشة
ضيافي
في هذا الليل
الفارغ
كمقبرة هادئة .

أصوات

الأصوات التي تخثر الروح

الأصوات القديمة

الأصوات التي ترسم محيطاً لهذه اللحظة

هذه اللحظة

حيث الذاكرة تتحدر نحو قاعها .

وجوه

زوار الأرق

الآتون تباعاً كأخطاء متلاحقة

زوار النوم

المتدافعون

كمثل صراخ

يمزق الطمأنينة .

على مقربة مني

هل سيأخذ انعكاسه الملتبس

ذلك النوم

المستريح دائماً

على مقربة مني ؟

هل سيبتعد يوماً

ساحباً قسوته

وظلاله القائمة ؟ .

التباس

ليس الكلام
الذي ينطفئ
ليس الغياب يفرش شساعته
بين أصابعنا
ليست الأمكنة
تستند إلى شيخوختها
ليست حقيقة العالم
تدور حول محورها
بلا طائل
صفة الحياة فقط
اصطدمت بنا
وتمزقنا .

نون

كلما قلت أحبك

سقطت سماء

على السرير !!!

معطف أحمر فارغ

وكان أن
ارتديت معطفاً أحمر وانتظرت
الظلام أغلق آخر نوافذ البريد
على الرصيف المقابل كان باب يستقبل ما يلتقطه الليل من شهوات
تتساقط كحبات برد غامقة
الشارع فارغ تماماً
انا فقط بمعطفي الأحمر الطويل
أراقب الشام وهي تتسحب
باتجاه الجنوب .

الذين ظهروا فجأة
وجوههم تشبه الحقائق المهجورة
على رؤوسهم غريان تبحث عما تبقى من رذاذ
وتحت أقدامهم ثمة ضوء يتكسر دونما اهتمام
فجأة ظهروا
أخرجوا قشور الليل من أفواههم
وألقوها على معطفي !!

كانوا ثلاثة...
راقصتهم واحداً واحداً
أطلقت على أكتافهم أسمائي
وعلى خطواتهم كنت أسكب أنهارى
وهم ذاهلون
لم يكن ثمة موسيقا أو غناء

كان عواء أجسادهم
وصوت ارتطام أطيافهم
والصراخ الدبق للرغبة تحت آباطهم
كانوا ثلاثة . . .
راقصتهم حتى انتصاف الليل
وعند انتصاف الليل
قفزوا كبهلوانات مدرية إلى جيوب معطفي الأحمر
وناموا .

غير أن شيئاً ما كان يحدث
الأرصفة تخفي خطوات العابرين
شرفات المنازل ذاهلة عما وراءها
دوران قلق للساحات الحجرية
ضباب كثيف يعجن نفسه
كل ما حولي محاط بالارتباك
ومتلاصق كحجارة سيل
بلا مجرى .

من الشمال
من حيث لا توجد زوايا ما
أقصد من حيث لا يوجد غير الملل
كان قاسيون يتقدم بعينيه المنحوتتين
وشعره المبقع بالنجوم
يتقدم كساهر يبحث عن صحبة آخر الليل
لم أنتبه كيف غافلني وأزاح معطفي الأحمر عن كتفي
قادني نحو دوران ذراعيه الأقصى
ثم أسلمني للهواء ودحرجني كحبة برد داكنة

وغاب

كل ما حولي كان مسمراً إلى السكون
وحدتي فقط كنت أنزع خدوش أطافه عن كتفي العاريتين
ثم أرتدي معطفي الأحمر الطويل
وأراقب أطراف ثوبه وهو يتبع الشام باتجاه الجنوب .

ثمة ما قد يفعله اثنان في هذا الظلام

غير أن انتظاري طال

ما من مقعد كي أريح عليه عجائبي

ولا سرير لأفرد فوق نومه ما ادخرته من الأسماء

ثمة ما قد يتبادله اثنان في هذا الظلام

غير أن الريح حررت نوافذ البريد من جدرانها

والغريان أنذرت الراقصين بالناي الأسود

طال انتظاري كثيراً

وكل ما حولي قد انسحب باتجاه الجنوب

لم يبق شيء

لم يبق شيء أبداً

غير معطف أحمر فارغ .

فهرس

٣	من آخر البيت حتى أول قبرك
٦	لا أشبهك أيتها الريح
٩	مفاتيح
١٢	شارع طويل
١٣	أثر
١٤	رمال فقط
١٥	لا مبالاة
١٦	عتبة
١٧	نكران
١٨	عبور
١٩	وقت
٢٠	هدوء
٢١	هذيان وأنهار زرق طليقة
٢٣	مشاهد من ليل مدينة ما
٢٦	امرأة
٢٨	ضوء ضئيل في الرمل
٣١	انتظار
٣٤	ظلال
٣٦	غامق، متألم، حزين
٣٩	كأنني شجرة في الخريف
٤٢	ما يلزم غيابك
٤٤	كم طرية أنا بك
٤٦	أصدقاء
٤٧	انعكاس
٤٨	منارة
٥٠	رجل
٥١	صوت
٥٢	ربما مكان لي
٥٤	في صحتك

٥٧ كأنني تميمة
٥٨ كما الهواء في غيبوبتك
٦٣ كمن يطلب كفايته من الظلام
٦٦ إلى سرير آخر الليل
٧٠ رسائل قصيرة
٧٣ سكون
٧٤ أصوات
٧٥ وجوه
٧٦ على مقربة مني
٧٧ التباس
٧٨ لون
٧٩ معطف أحمر فارغ
٨٢ فهرس